الخطاب السياسي للامامين السجّاد والكاظم (عليهما السلام) في مورد دفع كيد الأعداء- قراءة وتحليل

أ.م.د. علي رضا النوبري

عضو هيئة التدريس بجامعة طهران – كلية المعارف والفكر الإسلامي

عبدالأمير عبدالهادي محسن

جامعة النهرين

The Political Discourse of Imams al-Sajjad and al-Kadhim (peace be upon them) in Repelling the Enemies' Plots - Reading and Analysis

Asst. Prof. Ali Reza al-Nobari

Faculty Member, University of Tehran - College of Islamic Knowledge and Thought

Abdul-Amir Abdul-Hadi Mohsen

Al-Nahrain University

https://doi.org/10.64704/dawat.2025114506

ملخص البحث

يقدم هذا البحثُ دراسة تحليلية للأبعاد السياسية في مدار كلّ جملة أو تركيب للإمامين السّجاد و الكاظم عليهما سلام الله؛ و ذلك بغية تبيانِ شموليّة كلّ منهما، فلا يمكن أن يكون كلامهما ذا منحى واحد أو جانب واحد، بل يدور في أفلاك كثيرة، من أهمّها الأبعادُ السياسيةُ، ومدى قدرتهما على وضع أسسٍ اجتماعية سياسية للمجتمع بالإضافة لمكانتهما الدينية الرفيعة، و قد تمّت الدراسةُ من مقدمة، وخمسة مباحثَ؛ المبحث الأول: عن تقديم مواطن العدو، ومكائده، المبحث الثاني: عن إظهار الضعف، و العجز عن الانتصار بغير الله عز و جلّ، و المبحث الثالث: عن طرائق منن الله عز وجلّ في نصر العبد، و المبحث الرابع: عن اعتراف العبد بفضل الله في نصره، أما المبحث الخامس وهو الأخير فهو عن مظاهر اندحار العدو، بعد ذلك جاءت الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج، ثم قائمة المصادر و المراجع التي كانت الاستعانة فيها في هذا البحث، والله وليّ التوفيق.

الكلمات المفتاحية: الإمام السجاد، الإمام الكاظم، السياسة، الدين، الأبعاد، التحليل، القصد، النصر، الاستعانة بالله، القوة....

Abstract

This research presents an analytical study of the political dimensions within each sentence or phrase of the two Imams, Imam al-Sajjad and Imam al-Kadhim, peace be upon them. The aim is to demonstrate the comprehensiveness of each of their statements. Their discourse cannot be one-sided or one-sided, but rather revolves around many spheres, the most important of which are political dimensions and the extent of their ability to establish socio-political foundations for society, in addition to their lofty religious status. The study consists of an introduction and five chapters. The first chapter presents the enemy›s positions and plots. The second chapter demonstrates weakness and the inability to achieve victory without God Almighty. The third one discusses the ways in which God Almighty bestows victory on His servant while the fourth discusses the servant›s acknowledgment of God›s favor for His victory. Finally, the fifth chapter discusses the manifestations of the enemy›s defeat. This was followed by a conclusion that included the most important findings, a list of sources and references used in this research, and God is the Grantor of success.

Keywords: Imam Sajjad, Imam al-Kadhim, politics, religion, dimensions, analysis, intention, victory, seeking help from God, strength...

المقدمة:

من جماليات الخطاب أنه يحتوي في طيّاته مجموعة من الأبعاد، فالخطابُ عام، والأبعاد تكون على قدر البحث، وعلى مدى حديثه عن مجموعة من المصطلحات أو الموضوعات المختلفة، فالخطاب السياسي لا نعني به خطاب الذين يشغلون مراكز القرار، أو سلطات الحكم في البلدان.

و إنما يشمل ذلك مجمل الذين يؤدون أدواراً سياسية دينية إصلاحية اجتماعية، سواء أكانوا أشخاصاً يمارسون هذه الأمور بشكل فردي، أم بشكل جماعي أم عن طريق مؤسسات دينية اجتماعية[1]، فما بالنا إن كان ذلك أكبر وأعظم! فهو كلام الأئمة الذي يوصف بأبعاده الزمانية غير المتناهية.

فالإمامان السجاد، و الكاظم عليهما السلام كانا يستندان في حديثهما إلى ثقافة عميقة، و فكر رصين، ومنهج منتظم، و لذلك كانوا يناقشون في خطابهم مختلف القضايا التي كانوا بصددها سواء داخلياً، أم خارجياً، و في الجانب الخارجي كانت الأبعاد السياسية في الكلام[2]، و لاسيما إذا كان الفكر الديني ناجحاً في تعامله، فيكون الفكر الديني في هذا الوضع خارجاً من الإطار العقدي المحض إلى ارتباطات أخرى أهمها البعد السياسي الذي نأخذه من تحليل كلام الإمامين عليهما السلام، وخاصة أنهما في كلامها رفعا الخطاب من خصوصيات الجانب الديني إلى الأبعاد السياسية التي بدورها تخلق حالة سعي إصلاحي للحياة الاجتماعية بشكل عام..

والمرحلة الراهنة السياسية تقتضي تجديداً في الخطاب، و لا نعني إعادته؛ بل نعني إعادة قراءته، و تحليله و اكتشاف نقاط كثيرة تخصّ المجتمعَ بشكل عام، و الركن السياسي بشكل خاصّ[3]، و قد ظهر في (دفع كيد الأعداء) كثير من الكلام الذي أفادنا في تحليل الجوانب السياسية و استخراج الأبعاد.

فالدراسة التحليلية تولد نقط انطلاق نحو أرض خصبة لعملية تلاقح وتبادل بين الخطاب الديني والجانب السياسي، والتحليل للخطاب بوجهة نظر سياسية، جاء معبراً عن كثير من الدلالات المفادة من الجانب الديني

نحو بلورة فهم الخريطة السياسية للأئمة عليهم السلام.

الإشكالية:

ينطلق البحث من إشكالية رئيسة مفادُها: كيف نميز في أغلب النصوص بين الجانب الديني المحض، والجانب الديني المرتبط بالجانب السياسي ؟

أهمية البحث:

تنبعُ أهمية البحث من كونه خادماً لبيان الأبعاد السياسية في الحديث عن دفع الأعداء، فهو يبحث في الجانب البلاغي، واكتشاف المقصود من كلام الإمامين عليهما السلام في العمل ضد الظلم والأعداء، في محاولة لاستجلاء الأبعاد الجمالية والدلالية، وتبيان تفوق الإمامين عليهما السلام، على كثير من أقرانهما في مختلف المجالات.

منهج البحث:

ينهج البحثُ المنهج الوصفي التحليليّ، و ذلك عن طريق تحليل خطابات الإمامين عليهما السلام، و استكشاف البعد الدلاليّ في خطاب كلّ منهما، الذي يظهر البيانات السياسية في خطاب الإمامين عليهما السلام في أكثر من مجال، والعمل على تحليل محتوى كل دعاء بشكل يبين الدلالة المكثفة فيه بطرق بلاغية، وأساليب فنية مرجوة بكل الصيغ المرادة.

خطة البحث:

درس المبحث الأول: تقديم مواطن العدو ومكائده، والمبحث الثاني: إظهار الضعف والعجز عن الانتصار بغير الله عز وجلّ، والمبحث الثالث: طرائق منن الله عز وجلّ في نصر العبد، والمبحث الرابع: اعتراف العبد بفضل الله على نصره، أما المبحث الخامس: فدرس مظاهر اندحار العدو، وبعد ذلك جاءت الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج، ثم قائمة المصادر والمراجع التي كانت الاستعانة بها في هذا البحث، والله وليّ التوفيق.

١ – تقديم مواطن العدو ومكائده:

استعداد العدو وبغيه:

جاء في الدعاء: «فَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ ٱنْتَضَىٰ عَلَيَّ سَيْفَ عَدَاوَتِهِ، وَشَحَذَ لِي ظُبَةَ مُدْيَتِهِ، وَأَرْهَفَ لِي شَبَا حَدِّهِ، وَدَافَ لِي قَوَاتِلَ سُمُومِهِ، وَسَدَّدَ نَحْوِي صَوَائِبَ سِهَامِهِ، وَلَمْ تَنَمْ عَنِّي عَيْنُ حِرَاسَتِهِ،

وَأَضْمَرَ أَنْ يَسُومَنِي الْمَكْرُوهَ، وَيُجَرَّعَنِي زُعَافَ مَرَارَتِهِ»[٤].

لا يمكن لأيّ إنسان صاحب دين وعقيدة ومبدأ في هذه الحياة، إلا أن يعذب ويلاحق و يتعرض للظلم، فالإمام السجاد (عليه السلام) هنا يتحدث عن كثرة العدو، وبيّن لنا كثرة العدوّ عب استعماله قرينة لغوية نحوية تدلّ على ذلك، وهي (كم) فالنص هنا تفك شفراته الداخلية من الخطاب الصريح وغير الصريح، فالخطاب الصريح من أجل جذب انتباه السامع وشده، و غير الصريح بالقرينة المقامية، أو اللغوية النحوية أو الحالية، فالإمام السجاد (عليه السلام) كان عبر هذه الأعمال يذكر الناس بمأساة كربلاء، بهدف أن يربطهم بمنهج أهل البيت (عليهم السلام)، حتى تبقى مأساة كربلاء معروفة، و ذكر كيد الخصم وعداوته عند كل الأجيال على مر التاريخ[٥].

كما أن المنحى السياسي واضح، و ذلك بأن الإمام السجاد (عليه السلام) قد كوّن معجماً لفظيّاً وحقلاً دلالياً فيه إشارة إلى أن النص نص سياسي فيه عدو صريح، ومن ذلك الألفاظ (عدو، عداوة، مدية، قاتل، سهام، حراسة)، كانت الألفاظ أهم الركائز الدلالية في الدعاء؛ فاللفظ هو أداة الخطاب التواصلي والعمق الدلالي يكون من استعمال اللفظ الصحيح بموقعه الصحيح ليعطيَ الدلالة المنتظرة من القارئ أو المتلقي، فاللفظ هو أحد أهم وسائل التعبير الدلالي بما يكتنز من طاقة دلالية هائلة تعطي ثمرتها للقارئ والنصّ والمتلقّي كلّ على حدة، ومن اللفظ يشترط عذوبته، وسهولته، ورقته، وانسجامه الكامل مع الحالة الشعورية المعبر عنها، للوصول لأعلى درجات سبل الفصاحة، و متون الدلالة.[٦]

وأيضاً تظهر الدلالة السياسية عبر المواجهة، فهناك كلمات أعطت دلالة سياسية جذبت المتلقي نحو مدار القصد ومنحى التواصل، وهي كثيرة من مثل: «(انتضى) سل و أخرج غمده.. يجرعني زعاف مرارته.. أي يشربني السم، وهذا كناية واضحة عن العداوة السياسية»[٧].

يعد الذكر القالب المعياري في الجملة العربية التي تقوم على المسند

والمسند إليه. هذا في الأصل، ولكن أحيانا يجيء الخطاب خارجاً عن هذا الأصل(القاعدة) وهذا الخروج مرتبط بـ(مقتضى الحال) – إن صح القول- أعني أن الخروج يكون مقروناً بالغرض من الخطاب وموضوعه ومناسبته، زيادة على تمكن صاحبه من التفنن في استعمال الأساليب اللغوية بما يخدم غاية الخطاب، وفي ذلك- أي الخروج- سهم فيما يجعل النصوص تتمتع بالصفة الأدبية، أو تلك التي يمكن وسمها بأنها بلاغية.

إن الدلالة اللغوية تحمل في طياتها أبعادًا ومجالات لا يمكن فك شفراتها إلا بفهم عميق للنص؛ و لذلك فإننا نرى أن الإمامين عليهما السلام قد بلغا مبلغاً كبيراً في الفصاحة وأيضاً في البلاغة، لوضع منجزات النص على عتبات المتلقي أو القارئ حتى أصبح نصاً مفتوح الدلالات، و يمكن لأي شخص يحلل هذه النصوص أن يدرك أن هناك طرفاً محقاً وهو طرف الإمامين السجاد والكاظم عليهما السلام، وطرفاً عدواً لهما قد تصرف كثيراً من التصرفات الصعبة بحقهما حتى أصبحا في مواجهة دائمة، و يعبر عنه بالبلاغة التي تبين حدود النص الذي يتحدث عن العدو السياسي.

ولهذا الموضوع شأن خاص، و إنجاز لغوي، و فضاء مفتوح، ولهذا يجري توظيفه في النصوص، فضلاً عن ارتباطه بموضوع الاستمرارية النصية، وتأويل الموضوع، وتحقق عناصر النص بشكلها الكامل، من هنا ندرك وجود علاقة معنوية تربط العناصر بعضها ببعض.

وهذا ما ذكرناه من أن الانسجام يخلق نوعا من الاتساق والربط بين الجمل، وبين المفردات في النص أيضاً، «فلا يمكن تحديد مكان أي عنصر ومعناه إلا من خلال الربط، والعلاقة التماسكية البعيدة عن التفكك، يعد هذا أمرًا منطقيًا وطبيعيًا، فمن الصعب أن نفهم أي جملة وأن نقف على تفسيراتها أو تحليلها، دون أن نفهم ما يسبقها وما يلحق بها، وليس من الممكن واليسير أن نؤول الجمل والقضايا بمعزل عن الجمل والقضايا السابقة» [٨].

تجاوز الظالمين حدود الله:

و أيضاً: «وَكَمْ مِنْ بَاغٍ بَغَانِي

بِمَكَائِدِهِ وَنَصَبَ لِي شَرَكَ مَصَائِدِهِ، وَوَكَّلَ بِي تَفَقُّدَ رِعَايَتِهِ، وَأَضْبَأَ إِلَيَّ إِضْبَاءَ الْسَّبُعِ لِطَرِيدَتِهِ آنْتِظَاراً لانْتِهَازِ الْفُرْصَةِ لِفَرِيسَتِهِ، وَهُوَ يُظْهِرُ لِي بَشَاشَةَ الْمَلَقِ، وَيَنْظُرُنِي عَلَىٰ شِدَّةِ الْحَنَقِ»[٩].

السياسة أو الخلاف السياسي تعرف بأن المواجهة هي أشد أوتارها التي تعزف عليها، و أكثر الأدوات بياناً فيها، و لذلك فإن الدعاء يحمل في طياته كثيراً من الأبعاد السياسية، من مثل (باغ)، فهنا اسم الفاعل يدلّ على أمرين، الحدث و الشخص الباغي، أي إنّ الخلاف السياسيّ بينهما واضح للعيان، و في المعجم استعمل البغي و بكلّ تأكيد أي كلمة لها دلالة مستقلة عن الدلالة الأخرى.

ولو كان الاثنان في الحقل نفسه، فالبغي أشدّ من الظلم، ودليل ذلك أن المواجهة السياسية بينهما قد بلغت مبلغاً كبيراً، أي إن هناك قاتلاً، ومقتولاً، و ذلك عبر استعماله لمصطلح الفريسة، فالعداوة السياسية بلغت أوجها بينهما، من باب القاتل و المقتول، و الغالب و المغلوب، فالبيانات السياسية جزء من الخطاب يعمل المتكلم بواسطتها على إظهار أهدافه السياسية النظرية والعملية بشكل لافت من المتكلم للشخص الآخر سواء أكان هذا الشخص مخاطَباً أم عدواً مواجهاً، كل ذلك في الصراع السياسي، في الخطبة.

فمن أهم الأدوار التركيز والتهيئة، والإصرار والتأكيد، الأمر الذي مكن الإمام السجاد (عليه السلام)، و أيضاً الإمام الكاظم (عليه السلام) من الإقناع والتأثير في المتلقين، زيادة على وجود ظواهر صوتية بديعية أُخرى أسهمت في خلق نوعٍ من التوازي الصوتي الذي تلازم ـ غالباً ـ مع التوازن الدلالي.

فجاءت حجاجية التراكيب النحوية والصرفية وغيرها متآزرة مع غيرها من الأساليب، و ذلك من أجل لفت انتباه أسماع الحضور وإقناعهم من قبيل، الموازنة التركيبية، فكانت موسيقى هذه الخطبة متناوبة النغمات صاعدة في مواضع التأبين والغضب، هادئة في مواضع الحنين والتذكر.

الدلالة النحوية هي الدلالة

المستمدة من نظام الجملة وترتيبها، والدلالة النحوية تحصل من العلاقات بين الكلمات ووظيفة كل منها بعد أن تتخذ موقعاً نحوياً معيناً يعطي معنى دلالياً خاصاً، وكل كلمة في التركيب لها وظيفة نحوية تؤدي بها لوظيفة دلالية معينة وخاصة[١٠].

الدلالة الصرفية: يعد المستوى الصرفي من المستويات اللغوية المهمة الذي تعرف به أبنية الكلام المختلفة، فقد عرفه الدارسون بأنه المستوي الذي يدرس الصيغ اللغوية، وأثر هذه الصيغ في الدلالة، ويدرس الأثر الذي تحدثه زيادة بعض الوحدات الصرفية في أصل بنية الكلمة، و الدلالة الصرفية تستمد من دراسة التركيب الصرفي للكلمة، وبيان المعنى الذي تؤديه صيغتها، بمعنى أن الدلالة الصرفية قائمة على ما تؤديه هذه البنية، والصيغ الصرفية من معانٍ[١١].

في هذا اللون من (الذكر) يعمل على تعميق الشعور الذي يشي بالعجز والضعف من جهة، وبالطمع والرغبة في نيل المسألة من جهة أخرى عبر تأكيد القصدية في (كم) التعجبية التي حققت تكثيفاً دلالياً بفضل فنية الصياغة وهذا التكثيف يوحي بقصر المرجعية إلى طرف محدد بعينه، يدعم ذلك ويؤكد تلك القصدية.

كيد الحاسدين و مكرهم:

وَكَمْ مِنْ حَاسِدٍ قَدْ شَرِقَ بِي بِغُصَّتِهِ، وَشَجِيَ مِنِّي بِغَيْظِهِ وَسَلَقَنِي بِحَدِّ لِسَانِهِ، وَوَحَرَنِي بِقَرْفِ عُيُوبِهِ، وَجَعَلَ عِرْضِي غَرَضاً لِرَامِيهِ، وَقَلَّدَنِي خِلاَلاً لَمْ تَزَلْ فِيهِ، وَوَحَرَنِي بِكَيْدِهِ، وَقَصَدَنِي بِمَكِيدَتِهِ[١٢].

يتخذ الإمامان عليهما السلام سبيل إظهار ضعف العدو، فالحسد هو ضعف و ليس قوة أبداً، فربما كان الحسد من إظهار محاسن أهل البيت التي كان يظهرها الإمامان، وقد أدت لحسد العدو، ولم يترك الإمام صغيرة أو كبيرة يشهد لها الإسلام والتاريخ إلا عرض صفات أهل البيت الكرام، معتمدا على أسلوب التكرار بتشكيلاته التي تمنح الكلمات نوعاً من القوة والكثافة وتعكس التشديد على أغراض الخطاب المتنوعة بوصفه آلية قوية و يمنع غفلة المتلقي، ويقرر لديه مقاصد بعينها، فهو يحرك انفعالاته ويثير

عواطفه، و حسد بني أمية وبني العباس للإمامين عليهما السلام لم يكن فقط في الفعل، بل كان في الفعل وفي الكلام أيضاً، و ذلك عبر استعمال (اللسان)، فاللسان هو العضو الأكثر عملاً في جسم الإنسان، ودلالة اللسان هي الدلالة على كثرة الكلام، الذي بدوره يؤدي الدلالة على كثرة الحسد، وهذا النوع من الخطاب السياسي يكثفه المجاز المرسل.

ويعد المجاز من أفضل الأساليب البلاغية التي تهدف لإيصال المعنى بأبهى الأشكال والصور ليكون له وقع كبير ومؤثر، و ذو نَفسٍ خاصّ في المتلقي؛ لدلالته على كثرة معاني الألفاظ، ولما فيه من الدقة في التعبير، فالصورة المجازية تأتي مقابل الحقيقة، وهو كل قول محوّل عن دلالته الوضعية الأصلية من أجل قصد معيّن وهدف منشود وغاية بلاغيّة، فالعدول عن الحقيقة في أي تركيب نحوي أو بلاغي لا يكون اعتباطياً بقدَر ما هو عدول لدلالة مقصودة، الأمر الذي يعطي الكلامَ رونقاً وعذوبةً ووقعاً خاصاً، وكذلك رشاقة وحلاوة [١٣].

والحسد من الأخلاق المذمومة فهو عقيد الكفر، وحليف الباطل، وحرب البيان، قد ذمّ الله تعالى الحسد بقوله عز وجل:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١٤].

فالخطاب السياسي يتحدث عن المحسود، والمحسود هو كل صاحب نعمة، و لذلك فإن بني أمية وبني العباس عندما رأوا أن الإمامين قد أنعم الله عليهما بالعلم، والأخلاق، والدين والمعرفة، و كل شيء فيه خير أرادوا زوال النعمة عنهم بسبب خلافهم السياسي معهم.

وفي السّياسة الجار الحاسد يكون على علم ودراية بكل ما هو عند المحسود، فهم طلائع عليه وعيونهم ناظرة إليه ومطلع على أحواله، فإذا اجتمعت القرابة، و الجوار كان الحسد أقوى [١٥]. وهو ما كان وما حصل من أعداء الإمامين عليهما السلام، فالحاسد هو سلبي التفكير لا يفكر تفكيرا إيجابياً على الإطلاق، فهو لا يسعى مثلاً لفعل

شيء إيجابي يلحقه بالمحسود في الفضل أو يدنيه منه.

إنما هو مستغرق في تمني فشل المحسود الناجح أو زوال التوفيق عنه أو تشويه سمعته أو زحزحته من مكانته أو ذهاب النعمة منه؛ ذلك لأن الحاسد فاقد الثقة بنفسه، مستشعر العجز عن تحقيق غايته، ولذلك لا تجد لكثير من هؤلاء السياسيين ومن يشايعهم شيئاً عملياً للنهوض بالبلاد، ولا جهداً ميدانياً لإعلاء شأن المجتمعات، بل كل همهم العمل على هدم ما يبنيه الرئيس أو تعويقه أو التنقيص منه، أو الاستهانة والاستهزاء به، والتماس العيب لكل ما يقوم به، وفي الحديث: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ الْمُشَّاؤون بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْمُلْتَمِسُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ أو الْعَيْبَ»، فالحاسد لا ينفك في الدس على المحسود الناجح والتماس العنت له، واختلاق العيوب فيه، والتغافل عما أصاب فيه وأحسن[١٦].

٢- إظهار الضعف، و العجز عن الانتصار بغير الله تعالى:

الله تعالى هو الملجأ في الحياة، و في كل الظروف و في كل الأوقات الملجأ الذي لا يخيّب عبدَه أبداً.

التضرّع إلى الله لرفع الثقل، ودفع البلاء:

جاء في الدعاء الكريم: « نَظَرْتَ إِلى ضَعْفِي عَنْ احْتِمالِ الفَوادِحِ وعَجْزِي عَنِ الِانْتِصارِ مِمَّنْ قَصَدَنِي بِمُحارَبَتِهِ، وَوَحْدَتِي فِي كَثِيرٍ مِمَّنْ ناوانِي وَأَرْصَدَ لِي فِيما لَمْ أُعْمِلْ فِكْرِي»[١٧].

لا يخفى على مسلم ما حِفل به التاريخ الإسلامي من أزمات وصعوبات واجهت المسلمين، و أبرزوا فيها الأثر الواضح لحلها وتخطيها وفق منهج إداريّ دينيّ شعاره في الأول والأخير، هو التوكّل على الله تعالى في كل الأمور، لا بدّ لتخطي الأزمات، و إيجاد الحل المناسب لها أن تكون هناك خطة واضحة مبنية على علم ودراسة لا على عشوائية، تتكون من فريق عمل جاد متوكل على الله يأخذ بكل أسباب النجاح، وعلى رأس هذا الفريق من يسوسهم.

ولعل أبرز من اتسم وتحلى بصفات الشجاعة، والعزيمة، والحكمة،

والحنكة، وبإيمان الواثق هما الإمامان السجاد والكاظم عليهما السلام، إن السياسة الشرعية في الإسلام تعني ضبط حركة الفرد وتوجيه السلوك البشري في المجتمع من الراعي والرعية بالأحكام الشرعية.

فأستعمال كلمة (الضعف) دليل واضح على أن الإنسان عاجز عن تأدية أموره الكبيرة منها، أو الصغيرة، و ليس الضعف فقط بل أكثر من ذلك؛ فالإنسان في ضعفه عاجز فما بالنا في عجزه، و عدم قدرته على فعل أية حركة أو أي شيء؟! وعندما يكون الإنسان عاجزاً فإنه يلجأ إلى الله تعالى لأنه نعم العون والمعين في كل شيء، ولاسيّما في الشدائد وخاصة في وجود العدو السياسي وبالأخص إذا كان هذا العدو قوياً، و له أسلحة فتاكة، و جيشه أقوى من جيش الإمامين، وهذا ما كان في حياة الإمامين عليهما السلام من عداوة بني أمية وبني العباس.

الاستعانة بالله تعالى لطلب الغوث و الحفظ:

فَنادَيْتُكَ يَا إِلٰهِي مُسْتَغِيثاً بِكَ، وَاثِقاً بِسُرْعَةِ إِجَابَتِكَ، عَالِماً أَنَّهُ لاَ يُضْطَهَدُ مَنْ آوَىٰ إِلَىٰ ظِلِّ كَنَفِكَ، وَلاَ يَفْزَعُ مَنْ لَجَأَ إِلَىٰ مَعْقِلِ ٱنْتِصَارِكَ، فَحَصَّنْتَنِي مِنْ بَأْسِهِ بِقُدْرَتِكَ[١٨].

إن نداء الإنسان لله تعالى أمر وارد في كل مجاري هذه الحياة الدنيا، فالإنسان عندما يضعف يلجأ لله من أجل أن يقيه و يحميه من الصعوبات و المشكلات التي تتولد، و تنتج عن العدو، فالإمامان عليهما السلام قاوما الأعداء السياسيين، لكنهما وصلا لدرجة لم يستطيعا فيها أن يدفعا الخطر السياسي الناتج عن فتك العدو؛ و لذلك فقد طلبا العون من الله تعالى عن طريق النداء والاستعانة به عز وجل، فالنداء يتطلب طرفاً ثانياً وهو هنا الله تعالى، أي يجب أن يكون هناك طرف مخاطَب.

فالاستلزام الحواري في كثير من الأحيان يلاحظ أن الجمل أو العبارات اللغوية لا تعطي معاني تدل عليها صيغها الصورية، بل يذهب معناها بحسب الملابسات المقامية التي أنجز في إطارها ذلك الملفوظ أو تلك العبارة أو النص بصورته العامة، فالجملة التي لا تتجاوز لفظها ولا تثير أسئلة، لا تقيم علاقة

حجاجية بين المتكلمين، سواء أكان المعنى الذي تحمله الجملة خفياً أم صريحا، وهو « الكلام الذي يلقى لإيجاد مطلوب غير متحقق في الخارج باعتقاد المتكلم، و لو كان الشيءُ متحققاً في الخارج لقبح طلبُه عقلاً، و وجب إرادة معنى آخر غير الطلب»[١٩]. وإبرازاً للأثر التنغيمي للفظة (اللهم) التي أخذت موقع المنبه الإيقاعي والأسلوبي معا، وبيانا لأثرها- موقعياً- في التوزيع الفقري من جهة، وتوزيع الألفاظ الوقعة في ضمن الفقرة الواحدة من جهة ثانية.

إن قراءات النص تبقى مفتوحة للقارئ لكن عندما يكون هناك ضوابط فإن هذه القراءات تحد وتبقى ضمن السياج المحدد لها، وهذا السياج قوامه صيغ هذه الأفعال والأسماء التي سوف نذكرها، إذ إن لكل صيغة معانيَ صرفية كثيرة قد وضعها الصرفيون، وتدل على مجموعة من المعاني والدلالات ضمن كل سياق أو مقام معين يلجأ إليه القارئ في فك رمزية أو رموزه النص الشعري.

٣ - طرائق منن الله في نصر العبد:

ابتداء النصر من الله تعالى:

فَابْتَدَأْتَنِي بِنَصْرِكَ، وَشَدَدْتَ أَزْرِي بِقُوَّتِكَ، ثُمَّ فَلَلْتَ لِي حَدَّهُ، وَصَيَّرْتَهُ مِنْ بَعْدِ جَمْعٍ عَدِيدٍ وَحْدَهُ، وَأَعْلَيْتَ كَعْبِي عَلَيْهِ، وَجَعَلْتَ مَا سَدَّدَهُ مَرْدُوداً عَلَيْهِ[٢٠].

إن الكلام مع الله تعالى ليس كالكلام مع البشر، بل هو من باب المناجاة مع الخالق عز وجل، فإذا ما نظرنا إلى الأصوات على أنها (دوال) للكشف عن مدى قدرتها على الإيحاء واضعين بالحسبان أن الصوتيات عنصر صوتي، وهو ما يمثل القدرة الفنية، فدراستنا للمستوى الصوتي تكمن- أو تشترك- في عناصر البنية الشعرية من عملية الكشف عن كيفيات البناء فيه، ودلالات تشكيله مما يؤلف مظهراً أسلوبياً، و تكرار ضمير (الكاف) وهو العائد على الله تعالى، وتكمن قيمة التكرار الذي يعد من أفضل الظواهر اللغوية و البلاغية، و خاصة في الجانب التوكيدي لمضمون النصوص - بخصيصته المشار إليها- في امتداداته الوظيفية لا لكون لذلك فحسب؛ بل لكشفه عن وعي المنتج في ضرورة لغوية أو مدلولية أو توازن صوتي، يؤدي إلى توظيف أسلوب التكرار توظيفا قائماً على

التوافق(النغمي- الدلالي) المتحقق في دقة الاختيار، ومهارة التوزيع المعتمدة في صناعة التراكيب اللغوية أيضاً، علاوة على أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) وظف التكرار- كما يبدو للباحث- توظيفاً نفسياً حمل المتلقي على الإقناع والترغيب، وما من شك في أن للتكرار مزايا فنيةً عديدة، وبغية الوقوف عند أبرز المشاهد، حيث تأثيره الموسيقي، فضلاً عن الدلالة النفسية للحضور التكراري [٢١].

نجد أن لفظة (إلهي) التي تكررت قد شكلت تكراراً استهلالياً على طريقة النسق، اعتمد جسور التواصل الفكري والنفسي بين سياقات النص، موظفاً ثيمة النص الرئيسة التي أسهم العنوان(مناجاة الشاكرين) في تشكلها، نجح في توزيع امتداداته الترابطية على السياقات التالية للفظة (إلهي)، وأخذ ذلك التواصل (الفكري والنفسي) يتمظهر بوساطة تكرار(الشكر)، وإذا ما اعتمدنا رأيا يؤكد أن التكرار جزء من الهندسة العاطفية للعبارة وهو أحد الأضواء، فإننا نكون أمام حقيقة قارة في ذهن الإمامين زين العابدين و الكاظم عليهما السلام، المسلطة على ذات الباث الذي حاول- بوصفه باثاً- توجيه انتباهنا إليها تكرارها، وبهذا يكون التكرار قد خدم السياق في الكشف عن حقيقة خبيئة في(أنا) الباث، وفي جذب انتباه القارئ، علاوة على إحداث جو نغمي في النص من شأنه أن يعمل إليها أو التشديد عليها هنا، كما عمل في نصوص أدبية على تأكيد حضور وحدة أسلوبية ودلالية من أجل إعطائها طابع الاستمرارية في النص.

شد الأزر من الله تعالى، و كسر صورة العدو، وكذلك تفريق العدو، و تضعيفهم:

وَشَدَدْتَ أَزْرِي بِقُوَّتِكَ، ثُمَّ فَلَلْتَ لِي حَدَّهُ، وَصَيَّرْتَهُ مِنْ بَعْدِ جَمْعٍ عَدِيدٍ وَحْدَهُ، وَأَعْلَيْتَ كَعْبِي عَلَيْهِ، وَجَعَلْتَ مَا سَدَّدَهُ مَرْدُوداً عَلَيْهِ[٢٢].

الأزر هو القوة، وهو العون و المساعدة[٢٣]، وهي ركيزة الإنسان في الحياة الدنيا، و قد قال الله تعالى في كتابه الكريم:» ((قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي(٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي(٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي(٢٧) يَفْقَهُوا

قَوْلِي(٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي(٢٩) هَارُونَ أَخِي(٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي(٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي(٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا(٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا(٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا))[٢٤]. وبالجملة هو يسأل ربه أن يجعل له وزيراً من أهله ويبيّنه أنه هارون أخي وإنما يسأل ذلك؛ لأن الأمر كثير الجوانب متباعد الأطراف لا يسع موسى أنْ يقوم به وحده بل يحتاج إلى وزير يشاركه في ذلك فيقوم ببعض الأمر فيخفف عنه فيما يقوم به هذا الوزير ويكون مؤيداً لموسى فيما يقوم به موسى وهذا معنى قوله – وهو بمنزلة التفسير لجعله وزيراً – أُشدد به أزري وأشركه في أمري.

فمعنى قوله: عزّ وجلّ وأشركه في أمري صلى الله عليه وآله سؤال الإشراك في أمر كان يخصه وهو تبليغ ما بلغه من ربه بادئ أمره فهو الذي يخصه ولا يشاركه فيه أحد سواه ولا له أن يستنيب فيه غيره وأما تبليغ الدين أو شيء من أجزائه بعد بلوغه بتوسط النبي فليس مما يختص بالنبي بل هو وظيفة كل من آمن به ممن يعلم شيئاً من الدين وعلى العالم أن يبلّغ الجاهل وعلى الشاهد أن يبلّغ الغائب ولا معنى لسؤال إشراك أخيه معه في أمر لا يخصه بل يعمّه وأخاه وكل من آمن به من الإرشاد، والتعليم والبيان والتبليغ فتبين أن معنى إشراكه في أمره أن يقوم بتبليغ بعض ما يوحى إليه من ربه عنه وسائر ما يختص به من عند الله كافتراض الطاعة وحجية الكلمة[٢٥].

إن الدلالة القصوى هنا تكمن في أكثر من أمر، في الربط الدلالي، و السياقي بين ذكر الله تعالى، و ذكر العدو، وكأن الإمامين عليهما السّلام هنا قد استعملا الدلالة النقضية في الاستحضار، أي إنهما استعانا بالله ليغلبا العدو، ومن أجل علو شأنهما في المجتمع على شأن العدو، و كل ذلك يأتي من الربط السياقي في الدعاء القائم على الأمرين اللذين ذكرناهما، وهنا الاستحضار هو مصاحبة، وله دلالة لغوية مستقلة: إن الدلالة اللغوية مجال واسع، فاللغة لا تقف عند مستوى واحد بل تتعدى المجالات لتوليد الدلالات، ومن أهم هذه المستويات المصاحبة اللغوية الحديثة التي اقترنت بالمدرسة السياقية وأخذ البحث فيها مديات واسعة لارتباطها

الوثيق بالاستعمال اللغوي، وكان لها أثر كبير في نظرية الحقول الدلالية، فهي ظاهرة شكلية ترتبط بالدلالة بشكل كبير، والغرض من ذلك كله دلالياً هو وضع قوائم للكلمات المتصاحبة، تكون عونًا لمن يريد أن يعرف ما يصاحب كلمة معينة من كلمات[٢٦].

والذي تجدر الإشارة إليه هنا هو أن في الدعاء تناصاً مع القرآن الكريم في الآية الكريمة التي ذكرناه عن قصة سيدنا موسى و أخيه هارون عليهما السلام، و التناص اصطلاحًا هو العلاقة التي تربط نصًّا أدبيًا بنصٍّ آخر أو استحضار نص أدبي داخل نص أدبيّ آخر، وهو مُرتبط بوجود علاقات بين النصوص المُختلفة، ويقوم على فكرة عدم وجود نص بدأ من العدم فكلّ نص موجود هو مُعتمد في وجوده على نص آخر إمّا في الفكرة وإما في استعمال التراكيب والألفاظ، للتناص العديد من المُصطلحات التي تُقابله في اللغة العربية مثل: النصوصية، أو التناصية، أو التداخل النصي، أو التفاعل النصي، وكلها تُشير إلى المعنى نفسه[٢٧].

إن التناص هو مجموعة نصوص قديمة مقتبسة من نصوص أخرى تشترك فيما بينها، وتشكل نصاً منسجماً، والتناص كذلك ليس منغلقاً و هو منفتح على دلالات مختلفة وكثيرة، وفي الغالب فإن هذه الدلالات تختلف باختلاف القراء ومرجعياتهم ومدى استيعابهم للقصيدة بشكل عام أو أي عمل أدبي آخر، فإن النص يحتاج القارئ كما يحتاج الكاتب[٢٨].

٤- اعتراف العبد بفضل الله تعالى في نصره:

تجليات نعم الله تعالى:

وَكَمْ مِنْ سَحَائِبِ مَكْرُوهٍ جَلَّيْتَهَا عَنِّي، وَسَحَائِبِ نِعَمٍ أَمْطَرْتَهَا عَلَيَّ، وَجَدَاوِلَ رَحْمَةٍ نَشَرْتَهَا، وَعَافِيَةٍ أَلْبَسْتَهَا وَأَعْيُنِ أَحْدَاثٍ طَمَسْتَهَا، وَغَوَاشِيَ كُرُبَاتٍ كَشَفْتَهَا، وَكَمْ مِنْ ظَنٍّ حَسَنٍ حَقَّقْتَ، وَعَدَمٍ جَبَرْتَ، و(٢٩)صَرْعَةٍ أَنْعَشْتَ وَمَسْكَنَةٍ حَوَّلْتَ، كُلُّ ذَلِكَ إِنْعَاماً وَتَطَوُّلاً مِنْكَ.

إن اللغة هي الأداة عند الكاتب لينقل الحالة التعبيرية و هنا الإمامان عليهما السلام عندما أرادا أن يعبرا عن نعم الله تعالى، و فضله استعملا كلمة

(السحائب) وكلمة السحائب استحضار لغوي دلالي للخير.

فالغيوم تحمل الخير للناس، و ذلك عبر الأمطار التي تحيي الأرض، و ليس ذلك فقط، بل تحمل في طياتها دلالة لغوية أخرى وهي الظل في فصل الصيف في الحر الشديد، وهذا هو النجاح في الاستعمال الدلالي للغة، الهدف الذي ينشده علم الدلالة هو الوقوف على القوانين التي تنتظم المعاني وتطورها، والقواعد التي تسير وفقها اللغة، وذلك بالاطلاع على النصوص اللغوية بقصد ضبط المعاني المختلفة بأدوات محددة.

وفي هذا الموضوع جاء عند فخر الدين الرازي: «اللفظ المفرد لا يفيد مسمّاه لأنه ما لم يعلم كون تلك اللفظة موضوعة لذلك المعنى لم يفد شيئاً، لكن العلم بكونها موضوعة لذلك المعنى علم بنسبة مخصوصة بين ذلك اللفظ، و ذلك المعنى، والعلم بالنسبة المخصوصة بينهما، والإفادة لغوية وضعية، وبذلك هناك نوعان من الاصطلاح في الدلالة العرفية، الأول دلالة عرفية، والثاني دلالة عقلية، والاثنان ضمن الدلالة المعنوية»[٣٠].

وفي هذا سعي حثيث إلى التنويع في التراكيب اللغوية لأداء وظائف دلالية معينة، وهذا التنويع هو الذي يثري اللغة إثراء يحفظ أصول هذه اللغة، ولا يكون حاجزاً أمام تطورها وتجددها ويمكن في خضم البحث عن هذه النواميس «خلق» نواميس لغوية جديدة لكي تشرف على النظام الكلامي بين أهل اللغة؛ لأن «عالم اللسان يكون همه الوعي باللغة عبر إدراك نواميس السلوك الإنساني» [٣١].

إن علم الدلالة بوصفه مبحثًا من المباحث اللغوية بحسب ماهية اللسانيات، يهتم بحلقة من حلقات علم اللسان البشري، هذه الحلقة تكمن في المظهر الإبلاغي وما يتعلق به، فالرسالة الإبلاغية هي التي تضطلع بنقل دلالة الخطاب إلى المتلقي بحيث يتم- في الحالات العادية- استيعابها استيعاباً

كافياً، عندما نقوم بتأمل المعنى اللغوي الذي ذكرناه، والذي أوردته معاجم اللغة العربية وعمل العلماء الأوائل في اللغة على دراسته، وتدوينه ضمن المعاجم اللغوية، ندرك من التحليل والدراسة أن هذا المعنى اللغوي المعجمي يرتبط بمفاهيم كثيرة معبرة عن الموقف، وكل المعاني المذكورة تتمحور حول موضوع واحد وحول فكرة واحدة محددة، أو يمكن القول إنها تصب ضمن قالب لغوي واحد، من غير وجود احتباس، بمعنى أن المعنى رافقه الإشارة إلى الاستمرارية والديمومة، فأصبح لدينا شيء أشبه بالمعادلة اللغوية.

عطاء الله تعالى و إحسانه:

وَقَدْ سُئِلْتَ فَأَعْطَيْتَ، وَلَمْ تُسْأَلْ فَٱبْتَدَأْتَ، وَأَسْتُمِيحَ فَضْلُكَ فَمَا أَكْدَيْتَ، أَبَيْتَ يَا مَوْلاَيَ إِلاَّ إِحْسَاناً وَٱمْتِنَانا، وَتَطَوُّلاً وَإِنْعَاماً، وَأَبَيْتُ إِلاَّ تَقَحُّماً لِحُرُمَاتِكَ، وَتَعَدِّياً لِحُدُودِكَ وَغَفْلَةً عَنْ وَعِيدِكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ إِلَهِي مِنْ مُقْتَدِرٍ لاَ يُغْلَبُ وَذِي أَنَاةٍ لاَ تَعْجَلُ، هٰذَا مَقَامُ مَنِ ٱعْتَرَفَ بِسُبُوغِ ٱلنِّعَمِ وَقَابَلَهَا بِٱلتَّقْصِيرِ، وَشَهِدَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِٱلتَّضْيِيعِ، أَللّٰهُمَّ فَإِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِالْمُحَمَّدِيَّةِ ٱلرَّفِيعَةِ، وَالْعَلَوِيَّةِ الْبَيْضَاءِ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِهِمَا، أَنْ تُعِينَنِي عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَيْهِ الصلاة والسلام يَضِيقُ عَلَيْكَ فِي وُجْدِكَ، وَلاَ يَتَكَأَّدُكَ فِي قُدْرَتِكَ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَهَبْ لِي يَا إِلَهِي مِنْ رَحْمَتِكَ وَدَوَامِ تَوْفِيقِكَ مَا أَتَّخِذُهُ سُلَّماً أَعْرُجُ بِهِ إِلَىٰ رِضْوَانِكَ وَآمَنُ بِهِ مِنْ عِقَابِكَ، يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ (٣٢).

مهما كان الإنسان معبراً عن شكره وامتنانه لله تعالى، فإنه لا بد أن يبقى مقصراً في هذا المجال، فالله تعالى نعمه تغدق على الإنسان بشكل لا يمكن أن يجازيه الشكر أبداً.

نرى في هذا الدعاء أن المناجاة غلبت على النص، وهذا دليل على أن الدعاء هدفه الوحيد التضرع وشكر الله تعالى على نعمه، كما أنّ في الدعاء كلماتٍ تعبر عن العطاء الجزيل، ومنها كلمة (سبوغ) التي جاءت في الدعاء معادلاً موضوعياً لقدرة الله تعالى في إكثار

الخير على عباده جميعاً، وهذه كلها تعدّ علاماتٍ وإشاراتٍ خاصّة على المعنى المراد إيصاله، و على الهدف من كلّ لفظة عامة كانت أو خاصّة، بُنيَ هذا المفهوم على فهم أن العبارات اللغوية لا تقتصر على نقل محتويات معرفية بسيطة، بل تتجاوز وظيفة اللغة إلى القدرة على إنجاز أفعال فعلية، ويُفسر ذلك من أمثلة واضحة، إذ يظهر أن بعض التعبيرات اللغوية لا تقتصر على نقل المعلومات بل تقوم بإتمام أفعال.

إن أصل كل علامة هو مبدأ التشكل على وجه الدقة والتخصيص، فاللغة هي جملة من العلامات الدالة والمفهومات الواسعة التي تختصر فيما بعد إلى مجموعة من المصطلحات التي هي نتاج المعاني، فاللغة في مفهومها ومجموعها هي مصطلحات ومجموعة علامات، مما يجعلها مؤسسة اجتماعية خالصة في التوجه النحوي أو الصرفي، أو في مجال فلسفة اللغة، ولذلك كان لا بد من الارتباط التام بين الشكل والمضمون، أي بين المصطلح والمعنى[٣٣].

٥- مظاهر اندحار الأعداء:

هزيمة العدو، و إدباره:

فَرَدَدْتَهُ لَمْ يَشْفِ غَيْظَهُ وَلَمْ يَسْكُنْ غَلِيلُهُ، قدْ عَضَّ عَلَىٰ شَفَاهُ، وَأَدْبَرَ مُوَلِّياً قَدْ أَخْلَفَتْ سَرَايَاهُ [٣٤].إن الله تعالى عادل، وإن هذه الحياة الدنيا بكل ما فيها لا يمكن إلا أن ينتصر الحق و يذهب الباطل رغم كل المتاعب والآهات و المصاعب، فإن أي شيء يمر به الإنسان زواله يكون بالحق، و العدو مهما جال في هذه الحياة الدنيا فإنه لا محال سوف ينتهي يوماً ما، و يزول وتزول معه كل المعاناة.

الدعاء هنا فيه كلمات لها دلالتان؛ دلالة القوة فيها، وكذلك دلالة الضعف، فنار العدو، ونار الحرب إذا اشتعلت قوت، و إذا ضعفت كان لها دلالة عكسية عليه ودلالة إيجابية في سماء الحق، ومن هذه الكلمات التي ذكرت هنا في هذا الجانب (غليل)، (غيظ)، (أدبر)، وغيرها، مكونة حقلاً معجمياً انتهى إلى إخفاق العدو وفشله، وكأن الدعاء هنا

جاء بصيغة الحكم الفلسفية، وهو أنّ كل شيء سوف يزول وسوف ينتهي وسوف ينتصر الحق، كما أنّ الدعاء فيه الأسلوب الخبري الطلبي، ومن المعروف أنّ هذا الأسلوب هو أسلوب يفيد التوكيد، و هو مسبوق بـــــــ(قد)، والدلالة على أنه يرى الكلام محققاً كثيراً، استعماله للأسلوب الخبري المؤكد بمؤكد واحد وهو ما يسمى الطلبي، وهنا أكّد بـ (قد)، «فالجملة الخبرية تتخذ أسلوباً جمالياً رائعاً، منظماً وشيقاً، و ذلك يكون بوساطة المؤكدات، و الشرح، و التفصيل، كما هو الشأن بـ(قد) فالمؤكد هنا لإنهاء التردد بأن الكلام صحيح بل هو صحيح، و جاءت (قد) لتؤكد ذلك.. فقد أدرك البلاغيون جمالية هذا الأسلوب؛ أي الأسلوب الخبريّ هنا، و افتراقه عن غيره، وهو أسلوب جارٍ على كلام العرب، إذ يجعلُ فيه المتكلمُ مجالَ الإيحاءِ متجاوزاً الانطباعاتِ المباشرةَ»[٣٥].

فالخبر الطلبي «هو ما يلقى إلى مخاطب، يتردد بتصديقه؛ فحين يكون لدى المخاطب أدنى شك في الخبر، أو عوامل قريبة من هذا المجال، فإن حاله عندئذ حال من يسأل عن صحة الخبر، من أجل أن يتأكد، و يحسن أن يؤتى له بالجملة الخبرية، بما يؤكد مضمون صحة الخبر، و يؤتى بمؤكدات ترفع الشك»[٣٦]. إن الأسلوب الخبري هنا له وظيفة التأثير، و ذلك عن طريق قصد التواصل لدى الباثّ المعبّر عنه بوسائل محددة، على نحو أن يفهم النص بوصفه نصاً إبلاغياً من شأنه أن يعبر عما في داخل الكاتب أو المؤلف لإرساله بالصيغة الخبرية المناسبة للمتلقي أو القارئ[٣٧].

نزول البلاء في ساحة العدو:

فَلَمَّا رَأَيْتَ يَا إِلٰهِي تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ دَغَلَ سَرِيرَتِهِ وَقُبْحَ مَا ٱنْطَوَىٰ عَلَيْهِ، أَرْكَسْتَهُ لأُمِّ رَأْسِهِ فِي زُبْيَتِهِ، وَرَدَدْتَهُ فِي مَهْوَىٰ حُفْرَتِهِ، فَٱنْقَمَعَ بَعْدَ ٱسْتِطَالَتِهِ ذَلِيلاً فِي رِبَقِ حِبَالَتِهِ ٱلَّتِي كَانَ يُقَدِّرُ أَنْ يَرَانِي فِيهَا، وَقَدْ كَادَ أَنْ يَحُلَّ بِي لَوْلاَ رَحْمَتُكَ مَا حَلَّ بِسَاحَتِهِ [٣٨].

الزمن الماضي هو الذي جاء في هذا الدعاء بشكل شبه تام، ومعروف أن دلالة الزمن الماضي هي الثبوت والتأكد والعمل على توثيق أمر يعدّ أمراً حقيقياً لا مجال فيه للمساومة، فالعدو سوف يفنى وينتهي، و قد نزلت به الصعاب ودمرته، وجاء البلاء فيه بشكل مباشر ردّاً على كل أذية سببها للإمامين عليهما سلام الله، فالزمن الماضي هنا هو الأمر المسيطر نحوياً، كما رأينا، و بلاغياً من حيث الدلالة والتواصل نحو محتوى النصّ.

فالدلالة الخبرية للأسلوب هنا تفرض ذاتها بقوة عبر النقيضين المشتركين بالخبرية لتجاوز التركيب نحو دلالات معينة عن طريق الثبوت الذي يفيده، و يقرره الأسلوب الخبري، و يكشف العلاقات الدلالية التي يبثها الأسلوب الخبري هنا[٣٩]. فاستعمال الفعل الماضي في ثبوت الجملة الخبرية هو الأساس في كلّ ما سبق، حيث الدلالة عممت وقوع الحدث في الزمن الماضي المطلق الذي لا حدود له في حيزه، وقد كان مستوعباً للزمن الماضي، الذي من غير الممكن تحديده، فقد يكون قريباً أو بعيداً.

خاتمة و توصيات:

توصل البحث فيما تقدم من جوانب نظرية و تحليلية إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، و أهمها:

١- الخطاب العام عند الإمامين لم يكن في جانب واحد فقط، و لم يكن أيضاً في منحى معين دون منحى آخر، بل شمل خطاب الإمامين عليهما السلام جوانب كثيرة من الأمور الدينية، و السياسية، والاجتماعية.

٢- إن استعمال الأساليب السابقة يؤدي لانسجام المعاني النابع من استعمال الألفاظ بشكل متأنّ، و أيضاً بشكل دقيق مع مراعاة العلاقة القوية بين الأساليب، و أيضاً العلاقة القوية بين الشكل و المضمون، التي يعبر عنها بالعلاقة القوية بين اللفظ و المعنى.

٣- توصية الجيل الناشئ بأن الدين

والسياسة مرتبطان نحو خدمة الفرد، و أيضاً خدمة المجتمع.

٤- كان في الدعاء تناص مع النصوص المقدسة سواء القرآن الكريم، أم الحديث النبويّ الشريف، و ذلك بأن تكون أدعية الإمامين السجاد و الكاظم عليهما السلام فيها دلالات مأخوذة من القرآن أو الحديث النبوي الشريف لنبينا محمد صلى الله عليه وآله و سلم.

٥- الدعوة للإكثار من هذه الأبحاث في مختلف الدراسات، وأيضاً في مختلف التخصصات.

٦- استعمال الأساليب الإنشائية و أيضاً الأساليب الخبرية كان هو الأداة في نقل الحالة التعبيرية، و الوجدانية للإمامين عليهما السلام.

الهوامش:

١- وحدة الخطاب الديني والسياسي، بسمة أوقاني، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٧، ص٣٣.

٢- الإمام السجاد عليه السلام في فكر المستشرقين، جهاد الحساني، دار الفكر، بيروت، ط٤، ١٩٩٩، ص٢٩.

٣- تحليل الخطاب السياسي، وما يجب أن يكون، د. سماح حمدي، المعهد المصري للدراسات، مصر، ٢٠٠٦، ص١٢.

٤- الصحيفة السجّادية الكاملة، إمام العارفين زين العابدين علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، تحقيق: علي أنصاريان، سفارة إيران بدمشق، ١٩٩٩، ص٢١١، ٢١٢.

٥- من أعمال الإمام السجاد، الشيخ عبد الله يوسف، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠١، ص٣٢.

٦- تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، معهد التراث، مصر، ط٤، ١٩٩٧، ص٣٢.

٧- شرح الصحيفة السجادية، الإمام الشيرازي، دار العلوم، لبنان، ٢٠٠٢، ص٤١٠.

٨- لسانيات النص مدخل لانسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، لبنان، ١٩٩٦، ص٢٦.

٩- الصحيفة السجّادية الكاملة، إمام العارفين زين العابدين علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ص٢١٢.

١٠- الدلالة، و النحو، صلاح الدين حسنين، كلية الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠، ص٣٣.

١١- دراسات في علم اللغة، كمال، بشر.دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٩٩، ص٢٨.

١٢- الصحيفة السجّادية الكاملة، إمام العارفين زين العابدين علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب زين العابدين، ص٢١٣.

١٣- الصورة الفنية، د. وحيد كبابة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ١٩٩٩، ص٢٦.

١٤- سورة النساء، الآية ٤.

١٥- رسالة الحاسد والمحسود للجاحظ دراسة في الدلالة والتشكيل الفني، مجلة جامعة دمشق، ٢٠١١، ص١١.

١٦- بحار الأنوار، المجلسي، دار العلم، بيروت، ط٢، ١٩٩٩، . ص٥٦.

١٧- الصحيفة السجّادية الكاملة، إمام العارفين زين العابدين علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ص٢١٣.

١٨- الصحيفة السجّادية الكاملة، إمام العارفين زين العابدين علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ص٢١٣.

١٩- أساليب المعاني في القرآن الكريم، جعفر الحسيني، بستان الكتب، العراق، ط١،

٢٠٠٣، ص١٢٢.
٢٠- الصحيفة السجّادية الكاملة، إمام العارفين زين العابدين علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ص٢١٢.
٢١- ظواهر فنية، علاء الدين رمضان، دار الهدى، العراق، ط٢، ١٩٩٨، ص٢٨.
٢٢- الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين، علي بن الحسين، ص٢١٢.
٢٣- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار المعارف، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧، ص٤٠
٢٤- سورة طه: الآيات ٢٥-٣٥.
٢٥- تفسير الميزان، الطباطبائي، دار الفرقان، ط٢، ٢٠٠٠، ج٤، ص١٧٦.
٢٦- المصاحبة في التعبير اللغوي، محمد عبد العزيز، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩٩، ص٣٣.
٢٧- مفهوم التناص، محمد براونة، مؤسسة التعليم العالي، العراق، ط١، ص٣٣ ص١٨.
٢٨- لذة النص، رولان بارت، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٩٩، ص١٣٣.
٢٩- الصحيفة السجّادية الكاملة، إمام العارفين زين العابدين علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ص٢١٣.
٣٠- مفاتيح الغيب، الرازي، مكتبة التراث، لبنان ج٢، ص١٣٣.
٣١- اللسانيات و أسسها المعرفية، عبد السلام المسدي، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٩٩، ص١٠٤.
٣٢- الصحيفة السجّادية الكاملة، إمام العارفين زين العابدين علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ص٢١٣.
٣٣- ما وراء اللغة، د. عبد السلام المسدي، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٩٩، ص٥١.
٣٤- الصحيفة السجّادية الكاملة، إمام العارفين زين العابدين علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ص٢١٣.
٣٥- جماليات الخبر، و الإنشاء، د. حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥، ص٥٧.
٣٦- خصائص التركيب، مكتبة وهبة القاهرة، ط١، ٢٠٠٨، ص٢٦٣.
٣٧- التحليل اللغوي للنص، كلاوس برينكر، تحقيق: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، ط٢، ٢٠١٠، ص١٣٥.
٣٨- الصحيفة السجّادية الكاملة، إمام العارفين زين العابدين علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ص٢١٣.
٣٩- القراءة لعبة اكتشاف النص، بارت، ر يكور، مجلة كتابات معاصرة، ٢٠١٣، ص٥٤.

المصادر و المراجع:

• القرآن الكريم.

١- أساليب المعاني في القرآن الكريم، جعفر الحسيني، بستان الكتب، العراق، ط١، ٢٠٠٣.

٢- الإمام السجاد عليه السلام في فكر المستشرقين، جهاد الحساني، دار الفكر، بيروت، ط٤، ١٩٩٩.

٣- بحار الأنوار، المجلسي، دار العلم، بيروت، ط٢، ١٩٩٩.

٤- جماليات الخبر، و الإنشاء، د. حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥.

٥- خصائص التركيب، مكتبة وهبة القاهرة، ط١، ٢٠٠٨.

٦- تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، معهد التراث، مصر، ط٤، ١٩٩٧.

٧- تحليل الخطاب السياسي، وما يجب أن يكون، د. سماح حمدي، المعهد المصري للدراسات، مصر، ٢٠٠٦.

٨- التحليل اللغوي للنص، كلاوس برينكر، تحقيق: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، ط٢، ٢٠١٠.

٩- تفسير الميزان، الطباطبائي، دار الفرقان، ط٢، ٢٠٠٠.

١٠- دراسات في علم اللغة، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٩٩

١١- الدلالة، و النحو، صلاح الدين حسنين، كلية الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠.

١٢- رسالة الحاسد والمحسود للجاحظ دراسة في الدلالة والتشكيل الفني، مجلة جامعة دمشق، ٢٠١١.

١٣- شرح الصحيفة السجادية، الإمام الشيرازي، دار العلوم، لبنان، ٢٠٠٢.

١٤- الصحيفة السجّادية الكاملة، إمام العارفين زين العابدين علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، تحقيق: علي أنصاريان، سفارة إيران بدمشق، ١٩٩٩.

١٥- الصورة الفنية، د. وحيد كبابة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ١٩٩٩.

١٦- ظواهر فنية، علاء الدين رمضان، دار الهدى، العراق، ط٢، ١٩٩٨.

١٧- القراءة لعبة اكتشاف النص، بارت، ر يكور، مجلة كتابات معاصرة، ٢٠١٣.

١٨- لذة النص، رولان بارت، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٩٩.

١٩- اللسانيات و أسسها المعرفية، عبد السلام المسدي، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٩٩.

٢٠- لسانيات النص مدخل لانسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، لبنان، ١٩٩٦.

٢١- المصاحبة في التعبير اللغوي، محمد عبد

العزيز، دار الفكر العربي:، ط١، ١٩٩٩.
٢٢- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، تحقيق:لجنة التراث العربي، مكتبة التراث، لبنان، ١٩٩٩.
٢٣- مفهوم التناص، محمد براونة، مؤسسة التعليم العالي، العراق، ط١. ٢٠٠٣.
٢٤- من أعمال الإمام السجاد، الشيخ عبد الله يوسف، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠١.
٢٥- وحدة الخطاب الديني والسياسي، بسمة أوقاني، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٧.
٢٦- ما وراء اللغة، د. عبد السلام المسدي، دار الفكر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٠.
٢٧- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، لبنان، ط٢، ٢٠٠٧.